السيوطي فقيهاً

محمد الرحيل غرايبة
قسم الشريعة ، كلية الآداب ، جامعة مؤتة، الأردن

تاريخ تقديم البحث ١٩٩٤/٢/٤ تاريخ قبوله للنشر ١٩٩٥/٤/٣

ABSTRACT

This study an a tempt to explore AL-Sayooti's jurisprudent works. It shows his status a mony other Muslim scholars and the books which he has written in this respect Besides defining some of these books, the study also reveals his particular ideas, his 'Fatawas' or jurisprudent judgments those agreeing with other Islamic sects, or those which particularise him and his influence on Al-Shafeaiya jurisprudence .

ملخص

هذه الدراسة محاولة لدراسة الجانب الفقهي عند السيوطي ، حيث بيّنت منزلته الفقهية بين العلماء المسلمين ، وأحصيت مؤلفاته وعرّفت ببعضها ، وكشفت عن بعض آرائه وفتاواه الفقهية سواء التي وافق فيها المذاهب الإسلامية ، أو التي انفرد برأيه فيها ، وأوضحت أثره في الفقه الشافعي .

من سبقوه، يقول: «إعلم أنه ما زال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد، ويحضّون عليه، وينهون عن التقليد ويذمّونه ويكرهونه، وقد صنّف جماعة لا يُحصون في ذم التقليد»(١٦).

والذي نأخذه عليه هو المبالغة في مدح نفسه إلى درجة الزهو، مثل قوله: «وليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها من هو أعلم بالحديث أو العربية مني»(١٧). وقوله أيضاً :«فإن ثم من ينفخ اشداقه ويدعي مناظرتي، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد، والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة، ويزعم أنه يعارضني، ويستجيش عليّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد، ونفخت عليهم نفخة واحدة صاروا هباء منثورا»(١٨).

فلا داعي في رأينا إلى اللجوء إلى مثل هذه الأساليب، فكبار الائمة امثال أبي حنيفة والشافعي وغيرهم، لم يُعرف عنهم اللجوء إلى ذلك، أضف إلى ذلك أن الذي يجب أن يحكم له هم الناس، وليس هو نفسه.

المبحث الثاني
مؤلفات السيوطي الفقهية

كان السيوطي في مقدمة المشتغلين بالفقه وأصوله، أخذ من ينابيع الفقه أينما كانت، فقد تأثر بعاملين أساسيين: العامل الأول: تلقي العلم عن الشيوخ مباشرة وهو الأهم، والعامل الآخر: انقطاعه للقراءة في الكتب. فقد قام بدراسة كتب السابقين الفقهية من مختلف المذاهب. ويظهر أن قراءته لنفسه وانقطاعه للقراءة في الكتب أثرت في تكوينه الفكري أكثر من تأثير مشايخه، فثقافته الواسعة منشؤها جدّه ومثابرته وانصرافه للعلم بكليّته.

وقد صنّف السيوطي في مختلف العلوم من شرعية وعربية وتاريخ وغيرها، حيث ترك انتاجاً علمياً واسعاً، الا أن الفقه يعتبر أخصب جزء من هذا الانتاج. وهذا الانتاج، اما تأليف مستقل أو اختصار لبعض المؤلفات وشرحها، بالاضافة الى أنه كان شاعراً كبيراً تجلّت قدرته الشعرية في نظم أرجوزات لما يختصره من كتب أو في رده على سائليه في اجابته عما كانوا يستفتونه به.

وتجذر الإشارة الى مسألة مهمة في حديثنا عن مؤلفاته الفقهية، وهي أن السيوطي كان حريصاً كل الحرص على ذكر المصادر التي اقتبس منها، وأفادته في تأليفه لكتبه، فقد تحلّى بالأمانة العلمية، يقول: «ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً الا معزوّاً الى قائله من العلماء، مبيناً كتابه الذي ذكر فيه»(١٩).

وقد عُني القدامي بعمل قوائم تضم مؤلفات السيوطي، فقد ذكر محمد بن أحمد بن إياس

(ت:٩٣٠هـ/١٥٢٤م) أن للسيوطي ستمائة مؤلف، ويذكر عبدالوهاب بن أحمد الشعراني (ت:٩٧٣/١٥٦٥م) أن له أربعمائية وستين مؤلفاً، وعدّ له بروكلمان أربعمائة وخمسة عشر مصنفاً، وذكر جميل بك العظم أن له خمسمائة وستة وسبعين مؤلفاً، وآخر ما صدر في ذلك ما عمله الأستاذان محمد الشيباني وأحمد الخازندار في كتابهما «دليل مخطوطات السيوطي» حيث عدّا له تسعمائة وواحداً وثمانين كتاباً، فيها عدد مكرر لاختلاف المصادر في تسمية بعض الكتب(٢٠).

وأكثر مؤلفات السيوعي اشتهرت في حياته في مختلف أقطار العالم الإسلامي، فوصلت الى الحجاز والشام والمغرب واليمن والهند وغيرها(٢١). يقول محمد ابن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): «.. وتصانيفه في كل فن من الفنون مقبولة، وقد سارت في الأقطار مسير النهار»(٢٢).

ومؤلفاته في وقتنا الحاضر نجدها موزعة ليس بين المكتبات العربية والإسلامية وإنما أيضاً في المكتبات الأجنبية ونجد إقبالاً متزايداً من قبل الباحثين على دراستها والعمل على إحيائها.

وبما أن بحثنا مخصص للحديث عن فقه السيوعطي، فقد جهدت أن أحصي كتبه ورسائله في هذا المجال، فعملت قائمة بها ورتبتها حسب حروف المعجم، فقاربت الثمانين مصنفاً، وهي:

١- المستطرفة في أحكام دخول الحشفة.

٢- الأخبار الواردة في حكم الاتكاء على الوسادة.

٣- أخذ الأجرة بقراءة القرآن.

٤- آداب العقيان في أحكام الخصيان.

٥- آداب الملوك.

٦- أدب الفتيا.

٧- الأذان.

٨- أربعون حديثاً في قواعد الأحكام الفقهية.

٩- ازالة الوهن عن مسألة الرهن.

١٠- الأزهار الغضّة في حواشي الروضة.

١١- الأشباه والنظائر في الفروع.

١٢- الظفر بقلم الظفر.

١٣- الاقتناص في مسألة التماص.
١٤- القذاذة في تحقيق محل الاستعاذة.
١٥- الإنافة في رتبة الخلافة.
١٦- الانصاف في تمييز الأوقاف.
١٧- السلاف في التفصيل بين الصلاة والطواف.
١٨- القول المضي في الحنث في المضي.
١٩- اللوامع والبوارق في الجوامع والفوارق.
٢٠- الإيضاح في علم النكاح.
٢١- بذل العسجد لسؤال المسجد.
٢٢- بسط الكف في إتمام الصف.
٢٣- التحدث بنعمة الله.
٢٤- تعريف الفقيه بأجوبة الأسئلة المائة.
٢٥- تحفة الناسك بنكت المناسك.
٢٦- تشنيف الأسماع بمسائل الاجماع.
٢٧- تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد.
٢٨- التنبئة.
٢٩- التنفيس في الاعتذار من ترك الافتاء والتدريس.
٣٠- الثبوت في ضبط القنوت.
٣١- الجامع في الفرائض.
٣٢- الجنح الى الصلح.
٣٣- جواهر العقود.
٣٤- جزء في صلاة الضحى.
٣٥- جزيل المواهب في اختلاف المذاهب.
٣٦- الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم.
٣٧- الحاوي للفتاوي.
٣٨- الحواشي الصغرى.

٣٩- خصائص يوم الجمعة.

٤٠- ذم زيادة المهر.

٤١- ذم القضاء.

٤٢- ذم المكس.

٤٣- الرد على من أخلد الى الأرض وجهل ان الاجتهاد فرض.

٤٤- رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين.

٤٥- الروض الأريض في طهر المحيض.

٤٦- الزهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم.

٤٧- زوائد المهذب على الوافي.

٤٨- شرح التدريب.

٤٩- شرح الرحبية في الفرائض.

٥٠- شرح الكوكب الساطع في نجم جميع الجوامع.

٥١- نظم الروضة (رفع الخصاصة).

٥٢- شرح الروض.

٥٣- شوارد الفوائد في الضوابط والقواعد.

٥٤- طي اللسان عن ذم الطيلسان.

٥٥- العذب السلس في تصحيح الخلاف المرسل.

٥٦- فتح المغالق من أنت طالق.

٥٧- فصل الخطاب في قتل الكلاب.

٥٨- فض الوعاد في أحاديث رفع الأيدي في الدعاء.

٥٩- فضل الكلام في حكم السلام.

٦٠- قطع المجادلة عند تغيير المعاملة.

٦١- الكافي.

٦٢- اللمعة في تحقيق الركعة لإدارك الجمعة.

٦٣- مختصر الأحكام السلطانية.

٦٤- مختصر التنبيه.

٦٥- مختصر الحاوي.

٦٦- مختصر الخادم.

٦٧- مختصر الروضة (القنية).

٦٨- المصابيح في صلاة التراويح.

٦٩- ميزان المعدلة في شأن البسملة.

٧٠- نتيجة الفكر في الجهر بالذكر.

٧١- نظم الروضة.

٧٢- النهر لمن برز على شاطئ النهر.

٧٣- نور الشفيق بالتختم بالتعقيق.

٧٤- الورقات المقدمة.

٧٥- الوشاح في فوائد النكاح.

٧٦- وصول الأماني بأصول التهاني.

٧٧- اليد البسطى في الصلاة الوسطى.

٧٨- الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع.

ويمكننا إرجاع كثرة مؤلفات السيوطي بشكل عام، والفقه بشكل خاص إلى الاسباب التالية:

- ابتدأ التأليف في سن مبكِّرة. وكان عمره عند تأليفه لأول كتاب لا يتجاوز السبعة عشر عاماً.
- سرعته الفائقة في التأليف، روي أنه ألّف في يوم واحد ثلاث كراريس(٢٣).
- ثقافته الواسعة وتعمقه في مختلف الفنون، حيث طالع آلاف الكتب، تلمس ذلك من خلال قراءتك لأحد كتبه، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتبه دون الإشارة إلى أسماء كتب رجع إليها أو اقتبس منها.
- تفرغه للكتابة والتأليف، حيث انقطع عن الناس بعد سن الاربعين، وأعطى كل وقته للبحث والتأليف، حيث ترك الإفتاء والتدريس(٢٤).
- مناقشته لخصومه بعثت فيه حمية التأليف، وكثيراً ما دفعه غضبه إلى التأليف للرد على خصومه.
- قوله عن نفسه أنه مجتهد مطلق، لذلك أكثر من التأليف ليثبت أنه على إطلاع واسع بمختلف العلوم، ولا سيما العلوم الشرعية والعربية.

وتتمثل قيمة مؤلفات السيوطي، بأنها حفظت لنا أقوالاً وآراء لعلماء سابقين، دوّنوها في سطور كتب لم تصل إلينا، فوقفنا عليها عن طريق كتبه، ثم إن بعض كتبه كان إختصاراً لكتب مشهورة، ذات قيمة علمية، ولولا السيوطي لما عرفنا عنها شيئاً سوى العنوان، وذلك لامتداد يد الزمان إليها.

ومن ناحية ثانية، فقد عمل على جمع معارف موزعة في عدة كتب، فجمعها في مصنَّف واحد، فسهّل على الباحثين والدارسين معرفتها والوقوف عليها في يسر، وكانت منهلاً خصباً لهم، ساعد على ذلك انتشار كتبه في بلدان كثيرة في حياته وبعد مماته.

ويشبه السيوطي ارسطو، من حيث أن الأخير منح العالم محصول الفكر الاغريقي حتى آخر عهد الازدهار الفكري للاغريق، وبعد ارسطو كان الضعف والانحلال للاغريق، مثله كمثل السيوطي الذي أعطانا حصيلة الفكر الاسلامي في عصره وحفظه لنا من الضياع، «وان كنا نعتقد أن عملهما الموسوعي-ارسطو والسيوطي- لا يمكن أن يكون من عمل رجل واحد، بل ساهم في إخراجه عدد من التلاميذ، ورغم ذلك فان مؤلفاتهما كانت منهلاً خصباً للمفكرين اللاحقين حتى الوقت الراهن»(٢٥).

واكمالاً للفائدة، رأينا أن نعطي تعريفاً موجزاً لاهم كتبه في مجال الفقه وهما كتابا: الأشباه والنظائر في الفروع، والحاوي للفتاوي.

الأشباه والنظائر في الفروع

كتاب في القواعد الفقهية، والكتب التي أُلِّفت في هذا المجال قليلة جداً، من أشهرها: تأسيس النظر لأبي زيد الدبوسي (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م) لأشباه النظائر لابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ/١٥٦٢م) والقواعد في الفقه الاسلامي لعبدالرحمن بن رجب (ت:٧٩٥هـ/١٣٩٣م) والأشباه والنظائر لتاج الدين عبدالوهاب السبكي (ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م).

ويعتبر كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي، أهم الكتب وأعظمها فائدة في مجموعة المؤلفات التي أُلِّفت في القواعد الفقهية.

سبب تأليفه للأشباه: كان قد سبق له تأليف كتيب لطلابه أسماه: شوارد الفوائد في الضوابط والقواعد، ولما وجد أن كتابه هذا لقي قبولاً حسناً من طلابه ومن العلماء، عمل على تأليف كتاب أشمل وأعم من هذا الكتاب، وسمّاه: الأشباه والنظائر في الفروع، والفارق كبير جداً بين الكتابين، وما نسبة الأول إلى الثاني إلا كنسبة قطرة الماء إلى البحر(٢٦).

هدفه من تأليف الأشباه: هدف السيوطي من تأليفه للأشباه إلى جمع فروع فقه المذهب الشافعي في قواعد كلية، ليسهل على طلبة الفقه حفظها والوقوف عليها بما تحويه من حقائق وأسرار، ويقدروا على إعطاء حكم لما يستجد من مسائل ليس فيها للعلماء رأي(٢٧).

تقسيمه للكتاب: اشتمل الكتاب على مقدمة وسبعة أبواب. أما المقدمة فكانت في فضل الفقه والفقهاء وأهمية علم الأشباه والنظائر كنوع من أهم أنواع الفقه.

وأما الباب الأول، فقد اشتمل على القواعد الخمس التي ترجع اليها جميع مسائل الفقه وهي: اليقين لا يزول بالشك، والمشقة تجلب التيسير، والضرر يزال، والعادة محكمة، والأمور بمقاصدها.

الباب الثاني: في قواعد كلية، وهي اربعون قاعدة، أولها: الاجتهاد لا يُنقَض بالاجتهاد، وآخرها: إذا اجتمع السبب والغرر والمباشرة قُدِّمت المباشرة.

الثالث: في القواعد المختلف فيها، وهي عشرون قاعدة، تبدأ بقاعدة :الجمعة ظهر مقصورة، أو صلاة على حيالها، وتنتهي بقاعدة: المانع الطارئ هل هو كالمقارن.

الرابع: في احكام يجدر بالفقيه معرفتها، ويقبح به جهلها، كأحكام الناسي والجاهل والمكره والنائم... وهذه المباحث لا تخلو من قواعد وفوائد وتتمات وزوائد، يجد الناظر فيها فائدة كبيرة.

الخامس: في نظائر الأبواب، وهي التي من باب واحد، مرتبة على أبواب الفقه، والمخاطب بهذا الباب والذي يليه المبتدئون، يبدأ هذا الباب بطهارة المياه، وينتهي بالدعوى والبينات.

السادس: فيما افترقت فيه الأبواب المتشابهة، يبدأ بما افترق فيه اللمس والمس وينتهي بما افترق فيه المدبر وأم الولد.

السابع: في نظائر شتى منها: استعمال الماء في طهارتي الحدث والخبث، واستعمال التراب في التيمم والتعفير، واستعمال الحجر في الاستجمار ورمي الجمار...

ويختم كتابه بقصيدة لم يذكر قائلها، وفيها ذكر أربعين مسألة، لا يُعذر فيها بالجهل.قيمة الكتاب وجهد السيوطي فيه: يعتبر كتاب الأشباه من أهم كتب السيوطي، بل من أهم كتب الشافعية في الفقه، وقلّما نجد في مكتبتنا الاسلامية كتاباً يحوي ما احتواه الأشباه، فقد أبدع فيه السيوطي، حيث تضمَّن ما أجمله الفقهاء في هذا الفن من قبله، وأتى بمباحث جديدة مهمَّة لم يذكرها السابقون، فيعتبر أول كتاب متكامل في القواعد الفقهية، دلّ على تفوقه في هذا اللون من ألوان الفقه. وجاء الكتاب حافلاً بمادة علمية خصبة، تدل على ما تمتع به السيوطي من دقة في البحث وتعمّق في الدراسة، وجلد على المصاعب التي تعترض سبيله في التأليف، مع ما منحه الله من فكر ثاقب وحافظة قوية وبصيرة نافذة، وموهبة فذّة.

ويعتبر الأشباه من أهم المراجع للمختصين في دراسة الفقه، حيث ينير الطريق لطلاب الفقه في حل المشكلات التي تعترض سبيلهم، يقول السيوطي:«إذا تأمّلت كتابي هذا علمت أنه خلاصة عمر وزبدة دهر، حوى من المباحث المُهمَّات، وأعان عند النزول والمُلمَّات، وأنار

مشكلات المسائل المُدلهمَّات، فأني عمدت فيه إلى مقفلات ففتحتها، ومُعضلات فنقّحتها، ومُطوّلات فلخّصتها، وغرائب قلّ أن توجد منصوصة فنصصتها»(٢٨).

وقد عمل السيوطي على إرجاع كل قاعدة إلى أصلها من الحديث والأثر، وإذا كان في سند الحديث ضعف عمل جهده في تتبع الشواهد والطرق التي تُقوّيه، ولا شك أن هذا العمل يحتاج إلى بذل جهد كبير ومعرفة واسعة بالسنة من حيث المتن والسند، مما يجعل العلماء ينصرفون عنه، يقول في ذلك: «... وهذا أمر لا ترى عينك فقيهاً الآن يقدر عليه، ولا يلتفت بوجهه اليه»(٢٩).

ونجده يذكر مراجعه التي اعتمد عليها في تأليفه للأشباه، وينسب كل قول الى قائله، والمؤلفات التي رجع أليها كثيرة جداً، نجدها متناثرة في صفحات كتابه، حتى لا تكاد صفحة منه تخلو من ذكر عدد من المراجع، ليس في الفقه الشافعي فحسب، وانما في فقه مذاهب أهل السنة الأخرى.

ولا يكتفي بذكر أقوال العلماء السابقين، بل كثيراً ما يقوم بنقدها، ويرجح قولاً على آخر، ان كان في المسألة التي يتحدث عنها عدة أقوال، وعندما يرجح يقول: والاصح.. أو المختار قول فلان، أو الأصل ما سمعته من بعض مشايخي، أو الصواب ما ذكره فلان في١٧٣ م٢

وان لم يكن في المسألة قول، لا يتوقف في المسألة، وانما يعطي رأيه فيها معتمداً على النص، أو أقوال للصحابة أو للتابعين، أو على القياس، أو على العرف، أو على المصلحة التي تتفق مع مقاصد الشريعة في رفع الحرج والضيق عن الناس، فمثلاً في مسألة: لو اجتمع قتل زنا والردّة، يقول:« لم يحضرني فيه نقل، والذي يظهر أنه رجم، لأنه يحصل مقصودهما، بخلاف ما لو قتل بالسيف، فانه يحصل قتل الردة دون الزنا»(٣٠).

والسيوطي لا يتخذ رأياً أو يرجّح قولاً على آخر، إلا بعد التأكد والبحث وبذل قصارى الجهد، فمثلاً في مسألة: من أحرم بصلاة وينوي بها الفرض والتحية، يقول:«صحّت وحصلا معاً، ولم أرَ فيه خلافاً بعد البحث الشديد سنين»(٣١).

والأشباه-كما أشرنا سابقاً- حفظ لنا أقوالاً كثيرة لعلماء سابقين على السيوطي أو معاصرين له، أخذها من كتبهم، والتي لا تعرفها المكتبة الاسلامية إلا عن طريق ذكرها في الأشباه.

الحاوي للفتاوي: يقع الكتاب في جزئين ضمّا فتاوى في الفقه والتفسير، والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون، والذي يهمنا في بحثنا هو الجزء الأول، الذي يضم كثيراً من رسائله في الفقه بالإضافة إلى أجوبة كثيرة مهمة في مختلف أبواب الفقه.

ويبدو أن السبب في تأليفه لكتابه هذا، هو جمع الفتاوى المهمة في كتاب واحد ليسهل على

طلاب العلم الاطلاع عليها دون مشقة وعناء(٣٢).

تقسيمه للكتاب: الكتاب في جزئيه -كما ذكرنا- عبارة عن مجموعة فتاوى في مختلف العلوم، جعل في البداية الفتاوى في الفقه، وقام بترتيبها على الأبواب، ثم الفتاوى في التفسير، يليها الفتاوى في الحديث، ثم فتاوى في أصول الدين، ثم فتاوى في النحو والاعراب، ويختم الكتاب بفتاوى في سائر الفنون. وبلغ مجموع الرسائل المستقلة في الجزئين ثمانياً وسبعين رسالة، منها إحدى وأربعين في الفقه.

قيمة الكتاب وجهد السيوطي فيه: يحتل كتاب الحاوي للفتاوى منزلة عالية بين كتب الفتاوى في فقه أهل السنة عامة، وفقه الشافعية خاصة، فقد سار فيه على طريقة حسنة في التأليف. فكان يقول: قال شيخنا: كذا، وقال آخر في كتابه: كذا، وقال ثالث: كذا، أو يقول: ومعتمدي في ذلك نقول صريحة من كلام فلان، أو هذا الذي جزمت به موافق لنقل العلماء من أصحابنا وللآثار، أو لم أقف على رأي في المسألة والذي أراه كذا. وهو بذلك يعرض جميع الآراء التي قيلت في المسألة الواحدة، الأمر الذي يدل على سعة إطلاعه وتعمقه في البحث، وحرصه على بحث المسألة من جميع جوانبها.

وقد انتفع في موضوع كتابه، بكل ما كُتب فيه، يدل على ذلك ما أورده في ثنايا كتابه من نصوص وردت في مؤلفات فقهية في مختلف المذاهب وخاصة مذهب الشافعي وفي نقله عن غيره نقل ما يخدم غرضه، ووقف موقفاً نقدياً واضحاً مما نقله، وهذا سلوك مغاير لما قيل عنه بأنه ناقل فقط.

وفي فتاواه نجده مخلصاً لمذهبه الشافعي، وفي بعض الأحيان يذكر أقوال المذاهب الأخرى، ومن خلال فتاواه يتبين لنا غزارة علمه واتساع فقه، وقوة مداركه في الغوص على أدق المعاني، ومزج الفقه بالحياة العملية، من غير انحراف عن مقاصد الشريعة، بل غرضه تحقيق أهدافها في معالجة مشاكل الحياة وما يجري بين الناس. وقد عُرف عنه عدم التسرع في الفتيا، يدل على ذلك أنه ورده سؤال حول الآية الكريمة «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام»(٣٣). هل كانت الأيام موجودة قبل خلق السموات والأرض؟ يقول :« الذي وضح لي بعد الاجتهاد والنظر في الأدلة والتمهل أيام، حتى أعطيت النظر حقه، أن خلق السموات والأرض، وخلق الأيام كانت دفعة واحدة بدون تقديم أحدهما على الآخر»(٣٤)، ثم يورد أدلة من السنة يدعم بها رأيه.

وفي كتابه هذا وخاصة في باب الفتاوى الحديثية، نجده يضعّف بعضالأحاديث الواردة في الطهارة والصلاة، ومن هذه الأحاديث :« من توضأ على طهر كتب اللّه له عشر حسنات»(٣٥)، أو يحكم على بعضها بالوضع، مثل حديث«لا تسوّدوني في الصلاة»(٣٦).

وتجدر الاشارة إلى أن الأسئلة التي كانت ترد إليه ويجيب عنها، لم تكن من القاهرة فقط،

وإنما كانت تأتي من عدة بلدان، ولم يكن أصحابها من الشافعية فقط، وإنما كانوا أيضاً من أصحاب المذاهب الأخرى. ففي باب الاضحية، ورده سؤال من المغرب، من اتباع المذهب المالكي يستفتونه في الأضحية، يقولون:«وقد بحثنا عن هذا الفرع في كتب السادة المالكية، فما وجدنا ما يثلج الصدر، ويزيل اللبس، فكتبنا لكم لتبيّنوا لنا أصله من السنة»(٣٧).

ونجد الأسئلة التي كانت توجّه اليه تبدأ بمدحه، وتصفه تارة ببحر العلوم، وتارة بإمام لا نظير له، ومرة بعالم الزمن، أو مفتي الأنام، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة، وفي هذا دليل قاطع على رسوخ قدم السيوطي بالفقه وأنه كان يحتل مرتبة عالية بين فقهاء عصره، وأنه فعلاً كان مجتهد زمانه وشيخ الفقهاء والمُحدِّثين، شهد له القاصي والداني بغزارة العلم وسعة الاطلاع.

وأخيراً، امتاز أسلوبه في مؤلفاته الفقهية بالجودة والوضوح، كما امتازت كتابته بحسن تقسيمها وحصر موضوعاتها وتجزئتها، كل ذلك يدل على استيعابه للموضوع الذي يكتب فيه.

المبحث الثالث
وصفه المذهبي وجهوده في الفقه الشافعي

وصفه المذهبي: نشأ السيوطي في أسرة تتبع المذهب الشافعي، وكانت دراسته الأولى على المذهب الشافعي، حيث تتلمذ على يد كبار علماء الشافعية في ذلك الوقت، أمثال: علم الدين صالح بن عمر البلقيني(ت: ٨٦٨هـ/١٤٦٣م) وشرف الدين يحيى بن محمد المناوي (ت: ٨٧١هـ/١٤٦٦م) وجلال الدين محمد بن أحمد المحلّي (ت:٨٩٠هـ/١٤٨٥م) وحفظ عدة كتب من كتب فقه الشافعية الشهيرة مثل: عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، ومنهاج البيضاوي، كما درّس فقه الشافعية وأفتى على مذهبهم مدة طويلة من الزمن في أشهر مساجد القاهرة كالجامع الشيخوني والجامع الطولوني(٣٨) وغيرهما.

ويبدو أنه بعد أن عرف المذهب الشافعي، وطالع كل ما كتب فيه، لم يتوقف عند هذا الحد، بل درس كثيراً من كتب المذاهب الأخرى، فخرج السيوطي عن حدود مذهبه إلى الدراسة الفقهية الجامعة، دون أن يكون لذلك تأثير على اعتقاده بأن مذهب الشافعي هو أمثل المذاهب الاسلامية، حيث جمع الشافعي بين طريقة أهل الرأي في العراق، وطريقة أهل الحديث في المدينة.

فالسيوطي إذاً شافعي النزعة، يجد في مذهبه خصوبة لا يجدها في غيره، ويتقيد في استنباطه بإصول الشافعي، ومع هذا يرى أن الحق لا يسوغ احتكاره في مذهب واحد، فكل

واحد من الائمة الاربعة، لم يقصّر في طلب الحق، لذلك فهو لا يميل إلى التعصب المذهبي، وما نسبه اليه السخاوي من الطعن في القاضي العضد من الحنابلة «أنه لا يكون طعنة في نعل ابن الصلاح» (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)(٣٩)، ليس ذلك من قبيل التعصب، بل هو من قبيل المقارنة بين علم الرجلين، فهو يريد بذلك أن يبين أن ابن الصلاح كان أكثر علماً من القاضي العضد.

ومما يدلنا على عدم تعصبه المذهبي، تقديره البالغ للائمة الأربعة، فقد صنّف كتابين أحدهما في مناقب أبي حنيفة والآخر في مناقب الإمام مالك . وكان من نتيجة ذلك أن أُعجب به أصحاب المذاهب الأخرى، يقول الشاعر الحنفي عبدالباسط بن خليل الملقب بابن الوزير (ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م) في قصيدة يرثي بها السيوطي مطلعها:

مات جلال الدين غيث الورى　　مجتهد العصر إمام الوجود(٤٠)

فالعلماء هم ورثة الانبياء، وهم بمنزلة النجوم يهتدى بهم في الظلمات، وليس واحد منهم تعمّد مخالفة رسول الله عليه الصلاة والسلام في شيء من سننه لا في أمر صغير ولا في أمر كبير، وأنهم متفقون على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا صدف أن خالف أحدهم في فتواه حديثاً، فلا بد أن له عذراً في المخالفة.

كما أنه كثيراً ما توجه بالنصيحة إلى من يرى في نفسه أهلية الاجتهاد، أن لا يلتزم مذهباً معيناً، إذا وجد الحق في غيره، فليس لأحد أن يلتزم مذهباً معيناً قد اختاره، إذا تبين أن الحق في غيره، فإنه يجب أن يكون رائد الفقيه هو الحق لذات الحق، ولا يجوز التعصب لإمام مهما علا شأنه، يقول علي بن محمد الماوردي (ت:٤٥٠هـ/١٠٥٨م): «إذا كان القاضي شافعياً، لم يلزمه المصير في احكامه إلى أقاويل الشافعي، حتى يؤديه اجتهاده اليها، فإن أدّاه اجتهاده إلى الأخذ بقول أبي حنيفة عمل به»(٤١).

ورغم تقديره للمذاهب، فانه كان يتركها إذا وجد حديثاً يخالفها لقوله تعالى: «فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول...»(٤٢) ولأن الائمة الاربعة أنفسهم كانوا ينهون الناس عن تقليدهم، يقول الإمام الشافعي :«إذا صح الحديث، وكان خلاف قولي فاعملوا بالحديث، واتركوا قولي»(٤٣).

وإذا نظرنا في كتابات السيوطي الفقهية، نجد أنه كان عميق النظرة، واسع الاطلاع، متحرراً من قيود المذهبية في دراسته، داعياً إلى الابتعاد عن التقليد من غير دليل، ومع هذه النظرة الواسعة والشاملة، فقد كان يميل إلى المذهب الشافعي لشموله وقربه من السنة، فزاد اعجابه بمذهب الشافعي، معتقداً أن الشافعي كان أعلم من غيره بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

وبما أنه كان بعيداً عن التعصب المذهبي، فلا بد أن يخالف في بعض فتاواه رأي مذهبه إلا

أن المسائل التي خالف بها مذهبه قليلة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السيوطي عاش في آخر القرن الثامن الهجري، حيث سبق أن دُوّن فقه أهل السنة، وفقه بقية المذاهب الاسلامية الأخرى ، وقد كثر المجتهدون والمخرّجون في كل مذهب من المذاهب، الذين لم يكتفوا بالافتاء في الحوادث الواقعة، بل افتوا فيما يُتوقع من حوادث، فاتسع الفقه التقديري، فأفتوا فيما يُعقل وفيما لا يُعقل وقوعه.

أضف إلى ذلك أن المسائل التي أُفتي فيها كانت كثيرة جداً، بسبب اختلاف الازمان واختلاف الاعراف في البلدان الاسلامية الكثيرة، نادراً ما تجد واقعة تحدث في عصر السيوطي، لم يكن قد وقع ما يشابهها في أحد الاقطار الاسلامية، ودُوّنت الفتوى في كتب مذهب أو أكثر من المذاهب الإسلامية.

جهود السيوطي في المذهب الشافعي

المجتهدون التابعون لمذهب من المذاهب، لم يكونوا جامدين، بل اسهموا في إحياء المذهب وتجديده في كل عصر من العصور، يُفتون فيما يقع من الحوادث بما يتفق مع الحال، وأحياناً كانوا يخالفون إمامهم ويقولون: هذا اختلاف زمان لا اختلاف برهان، ولو كان الإمام في عصرنا لقال مثل قولنا(٤٤).

ومن ناحية أخرى، فإن الاجتهاد لا يُنظر فيه فقط إلى الزمان، بل العبرة فيه بما قام به الفقيه من جهود علمية، وقد عرفنا، أن السيوطي بلغ درجة عالية في الفقه، فكان على إطلاع واسع في فقه المذهب الشافعي وفي مذاهب أهل السنة الأخرى، وله عدد هائل من المؤلفات شملت مختلف أنواع العلوم والفنون، بالإضافة إلى فتاواه الكثيرة والقيمة التي تبين لنا مدى تعمقه وتبحره في فهم القرآن الكريم والسنة الشريفة، مما جعله لا يجمد عند أقوال السابقين، ولا يقف حائراً أمام ما يستجد من وقائع.

ويمكن إجمال جهوده السيوطي في الفقه الشافعي بالأمور التالية:

أولاً: جهوده في الفقه وفتاواه عملت على تنمية المذهب الشافعي وازدهاره، فكان منذ تصدى للافتاء حتى عزوفه عنه، يفتي على وفق المذهب الشافعي، وكان يختار من الأقوال ما يرى أنه أقوى دليلاً أو أقرب إلى مراعاة مصالح الناس، أو أقوى قياساً أو أكثر موافقة للمذاهب، وهو في هذه الفتاوى، لم يغفل المقارنة بين مذهب الشافعي وغيره من مذاهب أهل السنة، ولكن مقارنته هذه جاءت عرضاً لتوضيح الموضوع، ومن أجل زيادة الفائدة، لا لذات المقارنة.

لقد تقيّد السيوطي بإصول الشافعي في اجتهاداته، وقليلاً ما خالفها، لذلك تعتبر ترجيحاته واختياراته من مذهب الشافعي، سواء تلك التي اعتمد فيها على القول القديم أم

الجديد للشافعي، أو تلك التي أفتى بها معتمداً على حديث يخالف ما نصّ عليه الشافعي، باعتبار أن مذهب الشافعي ما وافق الحديث، والأخذ بالحديث واجب. يقول يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٧هـ/١٢٧٨م): ليس كل واحد يترك قول الشافعي ويأخذ بالحديث، بل ذلك خاص بالمجتهد الذي يغلب على ظنه أن الشافعي لم يعلم بالحديث، وهذا يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب أصحابه الآخذين عنه»(٤٥).

واختيارات السيوطي هي آراء مختارة من الفقه الاسلامي كله من غير تقيّد بمذهب من بينها، ولكن مع هذا نراه أميل إلى المذهب الشافعي، وقد قام السيوطي بذكر جزء منها في كتابيه: التحدث بنعمة الله، وحواشي الروضة، وقام الاستاذ خليل الميس بذكرها في مقدمة تحقيقه لكتاب السيوطي: الرد على من أخلد إلى الأرض(٤٦).

وفي اختياراته هذه، نجد أن جزءاً منها موافق لمذهب الشافعي، وبعضها مخالف لمذهب الشافعي، وما تبقى وهو قليل لم يعتمد فيه على أقوال سابقة، بل إنفرد بالقول فيها.

من هذه الاختيارات التي وافق فيها مذهبه نذكر: لحم الجزور لا ينقض الوضوء، والسواك إنما يكره للصائم بعد العصر لا بعد الزوال، وأوقات الكراهة لا تصلى فيها تحية المسجد، والجمع بين الصلاتين بعذر المرض تقديماً وتأخيراً جائز.

ومن اختياراته التي وافق فيها المذاهب الاسلامية:-الشعر يطهر بالدباغ تبعاً للجلد حيث يوافق الحنفية- توقف حل وطء الحائض بعد طهرها على الاستنجاء لا على الغسل، يوافق الاوزاعي-الجمعة تنعقد باربعة أنفس أحدهم الإمام، ويوافق بذلك أبا حنيفة والاوزاعي -تارك الصلاة لا يُقتل بل يُعزّر بالحبس والضرب ونحوهما، وبذلك يوافق مذهب أبي حنيفة- يُعتبر في الحلف اللفظ والمعنى معاً، وهو متأثر بذلك بالمذهب المالكي، - الوقف على النفس صحيح، يوافق رأي أبي يوسف من الحنفية(٤٧).

ومن فتاواه التي لم يعتمد فيها على قول سابق:-

- الترتيب في الوضوء شرط لا ركن.

-إثبات أن البسملة من الفاتحة ومن كل سورة بالقطع لا بالظن.

ومن اختياراته التي عثرنا عليها في بعض مؤلفاته، ولم يذكرها السيوطي ضمن اختياراته السابقة، نذكر:

- بعد الرفع من الركوع، يقول الإمام: سمع اللّه لمن حمده، ويقول المأموم : ربنا ولك الحمد، وهو في ذلك يخالف مذهبه الذي يرى إن كلاً من الإمام والمأموم يقول بعد الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد(٤٨)، ويوافق كلاً من أبي حنيفة ومالك . وقد فصّل السيوطي الحديث في هذه المسألة في رسالته: التشنيع في مسألة التسميع.

-النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لم يصلِّ التراويح عشرين ركعة، لأن الحديث الدال على ذلك ضعيف، لا يُحتجّ به، ويرى أن عدد ركعات التراويح ثماني ركعات(٤٩)، وقد بحث هذه المسألة تفصيلاً في رسالته: المصابيح في صلاة التراويح.

-السامع للمؤذن في حالة قيامه في المسجد، يجوز له أن يجلس، وإذا كان جالساً يحق له أن يضطجع، وإن كان مضطجعاً، له أن يستمر على الاضطجاع، وكل هذا لم يذكره أحد من الشافعية في كتبهم، ولم يرد فيه نص من السنة(٥٠).

- إنه لو اجتمع زنا والردّة، تُطبّق عقوبة الرجم، لأنه يحصل مقصودهما، بخلاف ما لو قتل بالسيف، فإنه يحصل قتل الردّة دون الزنا، وهذه الفتوى لم يأخذها من أحد (سبق الاشارة إليها في ص١٥ من هذا البحث).

-إن صلاة الجنازة توصف بالأداء والقضاء، فإذا دفن الشخص قبل الصلاة عليه، فيُصلَّى على قبره، لأنها لو كانت حينئذٍ أداء، لم يحرم التأخير إليه وهو حرام، ويقول في هذه المسألة: «لم ارَ من تعرّض لها»(٥١).

-صلاة الجماعة فرض كفاية، وإنما سقط الفرض باقامتها بحيث يظهر الشعار في البلد(٥٢)، وهو بذلك يوافق الرأي الراجح في مذهبه.

-القذف يباح بالاكراه، يقول: "لم أر من تعرض له من الشافعية"، وهو بذلك يوافق الحنفية(٥٣).

-إمامة الأعمى كالبصير، ليس احدهما أولى من الآخر(٥٤)، وهو بذلك يوافق مذهبه.

-لا يجوز للوصي عزل نفسه، لأن الموصي أوصى له لعلمه أنه تتوفر فيه الشفقة على أولاده وبذلك يوافق مذهب أبي حنيفة(٥٥).

-التيمم للخوف من شدة البرد لا يصح(٥٦)، يوافق في ذلك الحنفية والمالكية.

-تحريم الصلاة عند جلوس الإمام على المنبر يوم الجمعة، وهو بذلك يوافق سعيد ابن المسيب الذي يقول :"خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام"، وكما يوافق النووي من الشافعية(٥٧).

عمل المولد من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، وفي هذه المسألة، نجد السيوطي يخالف عدداً كبيراً من الفقهاء المسلمين الذين لا يجيزون المولد، ويعدّونه من البدع السيئة(٥٨).

وتجدر الإشارة إلى أن شغل السيوطي لمنصب الإفتاء مدة طويلة من الزمن جعلت فتاواه تمثل الفقه العملي التطبيقي، فقد اضطر إلى إعطاء احكام للمسائل العملية، فبعض فتاواه

افتى بها معلماً للناس ومرشداً لهم في أمور دينهم، وبعضها مما يتصل بحياة الناس في معاملاتهم في شتى المجالات.

وفي حالة عدم وجود نصّ على الواقعة، كان يعتمد في فتواه على مراعاة العرف، وما فيه تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية من رفع الحرج والضيق عن الناس، ومن الأمثلة على ذلك رسائله في الفقة منها: بسط الكف في اتمام الصف، وبذل العسجد لسؤال المسجد، وقطع المجادلة عند تغيير المعاملة، وفتح المغالق من انت طالق، والنقول المشرقة في مسألة النفقة، وهدم الجاني على الباني، والانصاف في تمييز الأوقاف(٥٩)، وغيرها.

ثانياً : أضاف إلى المذهب الشافعي عدداً كبيراً من الكتب والرسائل تعتبر في غاية الأهمية، لا يمكن لطالب العلم أن يستغني عنها، وأضافت أشياء جديدة إلى ما كتبه السابقون، فعلى سبيل المثال يذكر في رسالته: اللمعة في خصائص الجمعة أن شمس الدين محمد بن قيّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ/١٣٤٩)في كتابه: الهدى ليوم الجمعة، ذكر بضعاً وعشرين خصوصية، ولكنه أي السيوطي- جمع إحدى ومائة خصوصية(٦٠).

وفي رسالته: وصول الأماني بأصول التهاني، يرى جواز التهنئة واستحبابها بالمناسبات السعيدة كالأعياد والترقية في الوظيفة(٦١) وغيرها، وتعتبر هذه الرسالة فريدة من نوعها، ومثلها رسالة : حسن المقصد في عمل المولد، التي يرى فيها -كما ذكرنا- أن عمل المولد من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها.

ومن رسائله المهمة في الفقه أيضاً: الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر، وجزء في صلاة الضحى، ورفع منار الدين وهدم بناء المفسدين(٦٢)، وغيرها من الرسائل.

ثالثاً: جمع فروع فقه المذهب الشافعي في قواعد كلية، وذلك في كتابه الأشباه والنظائر، ولا يخفى ما للقواعد الفقهية من أهمية كبيرة من حيث أنها تعتبر الاصول التي بنيت عليها الاحكام الشرعية، وبواسطتها يمكن الوقوف على كثير من اسرار الشريعة، وتساعد على تكوين الملكة الفقهية عند طالب الفقه، حيث يسهل عليه استخراج الأحكام الشرعية، ولا سيما تلك التي لا يوجد نصّ على حكمها. يقول السيوطي: «لقد نوعوا هذا الفقه فنوناً وأنواعاً وتطاولوا في الاستنباط يداً وباعاً، وكان من أجلّ أنواع الفقه معرفة نظائر الفروع وأشباهها»(٦٣). ويقول أيضاً:«اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم، به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه واسراره، ويتميز في فهمه واستحضاره، ويقتدر على الالحاق والتخريج ومعرفة احكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوادث والوقائع لا تنقضي على ممر الزمان، ولهذا قال بعض اصحابنا: الفقه معرفة النظائر»(٦٤).

وهذا النوع من الفقه لا ينال ولا يدرك بالتمني، وإنما يدرك بالجد والاجتهاد، وكثرة

المطالعة ليلاً ونهاراً، والاخلاص في طلب الحقيقة، وتكريس الباحث كل وقته في البحث والدراسة(٦٥).

رابعاً: مؤلفاته في الفقه حفظت لنا أقوالاً كثيرة لعلماء كبارفي المذهب الشافعي، دونوها في مؤلفات لم تصل إلينا إلا عن طريق مؤلفاته، وذلك بسبب ضياع أو تلف تلك المصنفات.

خامساً: بيّن منزلة كثير من الاحاديث الواردة في كتب الفقه من حيث إن كانت صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة، وبذلك يكون طالب الفقه على بينّة من مرتبة الحديث عند الاستدلال به، فنجده على سبيل المثال يُضعّف الاحاديث المستشهد بها على اشتراط اربعين نفساً لحضور صلاة الجمعة(٦٦)، وكذلك يُضعّف الحديث الذي يشير إلى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم صلّى عشرين ركعة في التراويح(٦٧). كما يضعّف بعض الاحاديث الواردة في الطهارة والصلاة (٦٨)، مثل :«من توضأ على طهر كتب اللّه له عشرحسنات»(٦٩).

سادساً: كان له أثر كبير في إبقاء المذهب الشافعي يتمتع بسيادة على بقية المذاهب الفقهية، حيث كان مجتهد عصره، وعمدة الفقهاء والمحدثين، يقول تاج الدين السبكي:«هذان الاقليمان -مصر والشام- مركز ملك الشافعية، منذ ظهر مذهب الشافعية اليد العالية لاصحابه في هذه البلاد، لا يكون القضاء والخطابة في غيرهم»(٧٠).

ومن المعروف أنه منذ مجيء الأيوبيين حتى وفاة السيوطي بقي المذهب الشافعي مهيمناً على بقية المذاهب. وحتى بعد أن جعل السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٤م) القضاء على اربعة مذاهب، كان للقاضي الشافعي وحده الحق في تولية النواب في مدن مصر والشام، كما كان له وحده الحق في النظر في أموال اليتامى والأوقاف، وبذلك كانت له المرتبة الأولى في دولة المماليك (٧١).

وبوفاة السيوطي ومجيء العثمانيين الذين حكموا البلاد العربية وعلى الأخص مصر والشام، تغير الوضع، فأصبحت السيادة للمذهب الحنفي، حيث حصروا القضاء فيه.

الخاتمة

رأينا أن السيوطي كان عالماً بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، فقد خصص وقته وجهده للبحث والتأليف، ووجد سعادته في الدراسة والكتابة، وهو في مؤلفاته الكثيرة لم يقصد مغنماً دنيوياً، ولم يهدف إلى إرضاء ذوي الجاه والنفوذ، وإنما هدف إلى خدمة الدين واللغة العربية أولاً وأخيراً .

ونحن إذا وضعنا الرجل في الميزان، نجده لا يتصدر قائمة علماء الشافعية فحسب، بل يتصدر قائمة العلماء من المذاهب الأخرى، لما امتاز به من سعة المعرفة وتنوع الثقافة. وكثرة مؤلفاته الهامة في مختلف المجالات، والتي لا يستغني عنها أي باحث، تفرض علينا أن نقف من الرل موقف الإجلال والإكبار، والذي كان بحق من أعاجيب الزمان.

لقد درس كل العلوم الإسلامية وعلى رأسها الفقه، الذي درسه دراسة مقارنة واضحة، متعرفاً أسراره وغاياته، فأخرج مما درس عنصراً حياً قوياً، أمدّ به جيله والأجيال التي جاءت بعده.

كشفت الدراسة، أن السيوطي قد دعا إلى فتح باب الاجتهاد بعد أن تم إغلاقه، فهو يرى أنه لا يجوز أن يخلو العصر من مجتهدين، فمتطلبات التطور تفرض دائماً إبداء الرأي وإصدار الفتاوى للحوادث المستجدة، فالفقيه المتعمق في دراسة الفقه واصوله، والمتوفرة فيه شروط الاجتهاد، يجوز له أن يجتهد ، ولا يتقيّد بأقوال الائمة السابقين، بل يعطي رأيه في الواقعة حسب ما يؤدي إليه اجتهاده .

ومن ناحية أخرى، لم يتعصب لمذهب دون آخر، ولم يجمد عند أقوال أئمة مذهبه، ويرى أن الاختلاف في بعض المسائل يجب أن لا يؤدي إلى العداوة والتناحر بين أتباع المذاهب، وكيل التهم من كفر وابتداع ونحو ذلك .

كما أوضحت الدراسة منزلة السيوطي بين فقهاء عصره، وأثبتت أنه كان مجتهداً منتسباً. وعرّفت بجهود السيوطي في خدمة الفقه الذي يعتبر أهم العلوم الشرعية، وبيّنت أن السيوطي عاش ومات شافعياً، وإن مخالفته لمذهبه في بعض فتاويه لم تخرجه عن مذهبه. كما اظهرت أن كتبه في الفقه حفظت لنا كثيراً من أقوال السابقين ممن أخذ عنهم ، والتي دُوّنت في مراجع لا تعرفها المكتبة العربية والإسلامية إلا عن طريق ذكرها في مصنفاته.

وبيّنت الدراسة أن أهم كتبه في الفقه هو الأشباه والنظائر، حيث أثبت فيه تفوقاً واضحاً على كل من كتب في القواعد الفقهية.

إن قيمة كتبه في الفقه لا ترجع إلى جديد قدّمه الرجل وإنما تكمن في جمعه لجهود

السابقين، هذا العمل لا يعد قليلاً بالنسبة لعصره، أضف إلى ذلك أن كتبه حوت عدداً هائلاً من المراجع التي اعتمد عليها ، والتي ترشد الباحث إلى الينابيع الاساسية التي ينبغي أن ينهل منها في بحوثه ودراساته، وهذا باعتقادنا كاف لأن يجعلنا نجلّ الرجل ونقدّره.

وأخيراً، فإنني اتقدم إلى المهتمين بالدراسات الإسلامية بهذا العمل المتواضع في محاولة لابراز دور عالم من علماء المسلمين الكبار في مجال الفقه، فإني أسأل اللّه سبحانه، أن يكون نافعاً للباحثين والدارسين، وندعو اللّه أن يوفقنا إلى إلقاء ضوء على جوانب أخرى من فكره لم تبحث بعد.

وما أحوجنا في هذا العصر إلى علماء امثال السيوطي بعيدين عن روح العصبية المذهبية المقيتة، وبعيدين عن الجمود على حرفية النصوص، لكي ينهضوا بهذه الأمة، ويجنبوها الانزلاق في متاهات الحزبية المذهبية التي فرّقت الأمة واضعفت وحدتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- القرآن الكريم :
- ابن العماد، عبدالحي، «شذرات الذهب» ٤م في٨جـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت:٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، «بدائع الزهور في وقائع الدهور» ٥جـ، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٠م.
- أحمد شلبي، «السيوطي والدراسات القرآنية»، مجموعة بحوث عن السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- أحمد عامر، «الحضارة الإسلامية والمشكلات السياسية المعاصرة»، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥م.
- أحمد عمر هاشم، «السيوطي مفسراً»، مجموعة بحوث عن السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الترمذي، محمد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م) سنن الترمذي، ٥جـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حسنين محمد ربيع، «منهج السيوطي في كتابه التاريخ»، مجموعة بحوث عن السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت:٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»٦م في ١٢جـ، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م)، «أدب الفتيا»، تحقيق محمد عماوي ومحمد رواشده، المكتب الإسلامي، بيروت ودار عمار ، عمان، ١٩٨٥م.
- السيوطي، «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- السيوطي، «الأشباه والنظائر في الفروع»، دار الفكر، القاهرة.
- السيوطي، «الرد على من اخلد إلى الأرض»، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- السيوطي، «مجموعة رسائل السيوطي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- السيوطي، «الحاوي للفتاوي»٢جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

- السيوطي، «تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد»، تحقيق فواد عبدالمنعم، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٣م.
- السيوطي، «الرسائل التسع»، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٥م.
- السيوطي، «تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه»، ضبط وتعليق البسيوني مصطفى وزميله، دار الشروق، جدة، ١٩٧٩م.
- السيوطي، «التطريف في التصحيف في الحديث الشريف»، تحقيق علي حسين البواب، دار الفائز للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٨م.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»٢جـ، دار المعرفة، بيروت.
- عبدالحكم السيد علتم، «السيوطي محدثاً»، مجموعة بحوث عن السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٢٩٢-٢٧٤.
- عبدالكريم زيدان، «المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية»، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- عمر الاشقر، «تاريخ الفقه الإسلامي، ط٣، دار النفائس، عمان، ١٩٩١م.
- الغزّي، نجم الدين محمد بن أحمد (ت:١٠٦١هـ/١٦٥١م)، «الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة»٣جـ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، المطبعة الامريكية، بيروت، ١٩٤٥م.
- محمد أبو زهرة، «الشافعي، حياته وعصره، آراؤه وفقهه»، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٨م.
«ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه»، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.
«اصول الفقه»، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- محمود رزق، «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي»٨جـ، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢م.
- وهبة الزحيلي، «الفقه الإسلامي وأدلته»٨جـ، ط٣و دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.

الهوامش:

(١) السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، تحقيق فؤاد عبدالمنعم، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٣م، ص٦٥.

(٢) اسماعيل بن محمد العجلوني)ت١١٦٣هـ/١٧٤٩م)، تصحيح وتعليق أحمد القلاش، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، جـ١ ص٢٨٢.

(٣) السيوطي، الرد على من أخلد الى الأرض وجهل ان الاجتهاد فرض، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٦٨، ٧٤، ٧٦.

(٤) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٦.

(٥) السيوطي، الرد على من أخلد الى الأرض، مرجع سابق، ص١٤.

(٦) محمد أبوزهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٩٢.

(٧) المرجع نفسه، ص٣٩٤.

(٨) المرجع نفسه، ص٣٩٦-٣٩٧.

(٩) المرجع نفسه، ص٣٩٧.

(١٠) السيوطي، الرد على من أخلد الى الأرض، مرجع سابق، ص١١٢.

(١١) المرجع نفسه ص١١٢-١١٣.

(١٢) السيوطي، تقرير الاستناد، مرجع سابق، ص٦٩.

(١٣) السيوطي، الرد على من أخلد الى الأرض، مرجع سابق، ص٦٩.

(١٤) المرجع نفسه، ص١١٦.

(١٥) محمد بن أحمد الغزّي (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ٣جـ، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٥م، ج١، ص٢٢٨.

(١٦) السيوطي، الرد على من أخلد الى الأرض، مرجع سابق، ص١١٧.

(١٧) المرجع نفسه، ص٩.

(١٨) المرجع نفسه، ص١٤.

(١٩) حسنين محمد ربيع. «منهج السيوطي في كتابه التاريخ» مجموعة بحوث عن السيوطي،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٥٠، نقلاً عن المزهر للسيوطي ج٢ ص٣١٩.

(٢٠) علي حسين البواب، التطريف في التصحيف في الحديث للسيوطي، دائرة الفائز للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٨، ص٦.

(٢١) الغزّي، الكواكب السائرة، مصدر سابق، ج١، ص٢٢٨.

(٢٢) محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢جـ، دار المعرفة، بيروت، ج١ ص٣٢٨.

(٢٣) الغزّي، الكواكب السائرة، مصدر سابق، ج١، ص٢٢٨.

(٢٤) السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج٤ ص٦٦.

(٢٥) أحمد عامر، الحضارة الاسلامية والمشكلات المعاصرة، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٥.

(٢٦) السيوطي، الأشباه والنظائر في الفروع، دار الفكر، القاهرة، ص٤.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٥.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٤.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٠٢.

(٣١) المصدر نفسه، ص١٦.

(٣٢) السيوطي الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج١ ص٥.

(٣٣) سورة الأعراف، آية ٥٤.

(٣٥) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، ج١ ص٣٠٦. وانظر ص١٦ من هذا البحث.

(٣٥) محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م) سنن الترمذي، ٥جـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٧٨.

(٣٦) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، ج١ ص٣٣٨.

(٣٧) المصدر نفسه ص٢٤٨.

(٣٨) عبدالحي أحمد بن العماد (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) شذرات الذهب، ٤م في ٨جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٨ ص٥٢.

(٣٩) السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق ج٤ ص٦٦.

(٤٠) البسوني مصطفى، تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه للسيوطي، دار الشروق، جدة ١٩٧٩م. ص٧٧.

(٤١) السيوطي، الرد على من زخلد الى الأرض، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٤٢) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤٣) محمد أبوزهرة، الشافعي حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العبري، القاهرة ١٩٧٨، ص٣٨٢.

(٤٤) محمد أبوزهرة، ابن تيمية: حيته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤٤١.

(٤٥)محمد أبوزهرة، الشافعي، مرجع سابق ص٣٨٢.

(٤٦) خليل الميس، الرد على من أخلد الى الأرض للسيوطي، مرجع سابق، ص٢٠-٢٣.

(٤٧) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٨جـ، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ج٨ ص١٩٠.

(٤٨) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، ج١، ص٣٦.

(٤٩) السيوطي، مجموعة رسائل السيوطي، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٢٥.

(٥٠) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، جـ١، ص٣٢.

(٥١) السيوطي، الأشباه والنظائر في الفروع، مصدر سابق، ص٢٠٢.

(٥٢) المصدر نفسه، ص٢٢٩.

(٥٣) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٥٤) المصدر نفسه، ص١٥٩.

(٥٥) المصدر نفسه، ١٠٥.

(٥٦) المصدر نفسه، ٥٨.

(٥٧) السيوطي، مجموعة رسائل السيوطي، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٥٨) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مرجع سابق، ج١، ص١٨٩.

(٥٩) انظر هذه الرسائل وغيرها في الجزء الأول من الحاوي للفتاوي للسيوطي.

(٦٠) السيوطي، مجموعة رسائل، مرجع سابق، ص٨٥.

(٦١) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، جـ١، ص٧٩.

(٦٢) انظر هذه الرسائل وغيرها في الجزء الأول من كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي.

(٦٣) السيوطي، الأشباه والنظائر في الفروع، مصدر سابق، ص٢.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٥.

(٦٥) المصدر نفسه، ص٣.

(٦٦) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، جـ، ص١٦٩.

(٦٧) السيوطي، مجموعة رسائل السيوطي، مرجع سابق، ص٣٢٥.

(٦٨) السيوطي، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، جـ١، ص٣٣٨.

(٦٩) الترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، جـ، ص٨٧.

(٧٠) محمد أبوزهرة، الشافعي، مرجع سابق، جـ١، ص٣٩٤.

(٧١) المرجع نفسه، ص ٣٩٥.